استراتيجية النص لذة القراءة وإشكالية التلقي

أ.م. د صفاء الدين أحمد فاضل
الجامعة العراقية
كلية الآداب

المقدمة

يمثل النص المنتج كينونة هائلة من الدلالات اللغوية والإنتاجية ،والتي قد تصل إلى درجة الافتتان به،وذلك الافتتان يولد قراءات عدة ، فيكون القارئ هو المتلقي لذلك النص،والنص هو الإنتاج الذي يقع عليه فعل القراءة ولذتها،وفي مقابل ذلك تظهر إشكالية التلقي،لأن النص هو مشروع تأويلي وتشريحي من قبل المتلقي (القارئ) له،وهنا سيخضع النص الذي تم إنتاجه إلى عملية نمذجة ثقافية مختلفة بحسب اختلاف الرؤى وتحديد مفهوم القراءة لدى المتلقيلأنه الطرف الأول والمسؤول عن تفعيل النص وصياغة معناه،ويمثل ارتكازية اساسية في نظرية القراءة والتلقي القائمة على أساس الأطراف الاتية:

((القارئ ـــــــ بناء المعنى ـــــــــــ أفق توقع القارئ))

وبما ان القارئ هو الأساس في عملية القراءة إذن هو الذي ينتج المعنى ثم يُفعل النص لتكتمل العملية الأدبية الابداعية،وهذا ما يسمى بـ(لذة القراءة) و (إنتاج النص) لدلالات كثيرة متنوعة من خلال عملية القراءة والتأويل للنص المقروء،إلا ان المشكلة التي تواجه القارئ هو وجود إشكالية في عملية التوصيل واستكمالها للعملية الإبداعية للنص،وهذا امر يسبب عملية إنقطاع بين الصلة والموصولية،وبين النص والمتلقي المتلقف له،وبين المنتج وانتاجه لتبرر ما يسمى بانقطاع التواصلية (الفجوة) فكما يذكر ياوس وإيزر ان انقطاع عملية التواصل والجدلية بين النص ومتلقيه تسبب فجوة انقطاع،ولهذا يرى ياوس أن النص يحتاج دائما إلى دينامية تخرجه من حيز الكمون إلى حيز التحقق،ثم تتحول العملية الإنتاجية بفعل القراءة إلى عملية تواصلية متضمنة لأفق انتظار المتلقي وخبراته في بناء المعنىلأن بناء المعنى يتولد من خلال التفاعل النشط بين (النص والقارئ) وعلى هذا الأساس نبهت نظرية الفينومينولوجيا بإلحاحها الشديد على أن دراسة العمل الأدبي لابد ان تهتم بالنص وبالأفعال المرتبطة مع ذلك النص فيثير قارئيه،ثم يحقق القراءة والعمق الدلالي المقاسي يسمى بـ (سلمية الدلالة) بمعنى أن

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

الدلالة لا تنحصر ضمن مفهومي الدلالة الصريحة المفهومية أو الإيمائية وانما تتضمن أيضا ما يترتب بينهما من دلالات وأمور تشكل هي الأخرى منتجات ثانوية ومعان عدة تسوغ على وفق ممكنات النص أي امكانيته لانتاج الدلالة من جهة،وقابلية القارئ على تفكيك تلك الدلالات وسبر أغوراها من الجهة المقابلة له،وإمكانية ملئ الفراغات أو بتعبير ادق ردم الفجوات النصية في أي عمل أدبي فني يفرض على المتلقي توظيف آلية الإسقاط وهي آلية صعبة تأتي لدى المتلقي بعد دراية واعية لبنية النص الانتاجي وبعد عملية التأمل العميق له ولبنيته النصية وهذا ما يطلق عليه إيزر بـ(السياحة في النص) ،وتلك السياحة ينتج عنها وجهات نظر متعددة والتي تكون مصحوبة بعملية التأويل للنص الإبداعي ،ولا تخلو أيضا من عملية سابقة لها وهي عملية تنقيبية في ثنايا ذلك النص ، وعلى هذا تم تقسيم البحث إلى مبحثين : المبحث الأول بعنوان((دلالة النص وبناء المعنى))، في حين المبحث الثاني بعنوان((إشكالية التلقي وانقطاع الحوار" النص والقارئ")) كما تضمن البحث خاتمة اشارت إلى ابرز ماتوصل إليه البحث ،وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها .

المبحث الأول : دلالة النص وبناء المعنى

إن النص له دلالات عدة ، بعضها مضمرة وأخرى معلنة بحسب النص وطريقة الطرح له ، من أجل تجسيدمعنى للنص ، بمعنى اخر اخراج المعنى من حالة الكمون إلى حالة الظهور ، ولاسيما أن القراءة لاتعتبر تلقياً سلبيا أبداً ، وإنما هي طريقة تفاعل خلاق ، ومشاركة حقيقية بين النص والقارئ[1]، وهذا مايجعل النص في حالة استكمال لجوانبه ، لأن النص عندما ينتج لابد له من أن يلقى للجمهور أو العامة بغية النقد واخراج نواقص النص قبل محاسنه من أجل تقديم النص الأدبي بشكل أعمق وأدق ، وانتاج المعنى الذي يحمل عمق الدلالات وارتكاز المعنى ، ليدل ذلك على قدرات المتلقي على نقد النص أولاً ، ثم الكشف عن قدرته على التوقع وفتح مغاليق النصوص ، وتفسير ظواهره الرمزية التي لا تكون بصفة أو بصورة مباشرة ، وذلك يكون من خلال :

١. **مستوى القارئ :**

إن عملية التأويل للنص الأدبي أو أي نص آخر تحتاج إلى قدرات وكفاءات عالية ، لمعرفة مغاليق النص ، ولاسيما فهم الرموز اللغوية التي يكتنفها النص ، إلى جانب الرموز الإشارية التي تحيل هي الاخرى إلى الموقف الاخباري وتلك أمور تساعد في معرفة النص لكي يصل إلى تأويل سليم له ، ولابد من الاشارة إلى ثلاثة مستويات لفعل القراءة ، وهذه المستويات هي :

١_ مستوى عالٍ متمكن.

٢_ مستوى متوسط .

٣_ مستوى سطحي اعتيادي .

وكل مستوى من هذه المستويات يعبر عن قابلية مستوى القارئ وقدراته والامكانية الفكرية التي يتمتع بها ، لتعزيز عملية القراءة ، إلى جانب إخفاء أسسه الفكرية وطرقه العلمية ، لتأويل النص واستخراج المعنى المقصود ، وعلى الرغم من أن مقصدية المؤلف قد لا يكون بامكان المؤول أن يصل إليها ، إلا أنه قد يصل إلى تأويل مقارب وصحيح من خلال نفس النص أو ما يحمله من اشارات قولية (كلامية) تحمل المعنى الباطني للنص ، كما أن عملية التأويل تتعدد فيها الشبكات الدلالية (التي تمتاز بها أغلب

النصوص الأدبية ، فهذه تقيم في الوقت نفسه شبكات دلالية متنوعة ، وتسلك في ذات اللحظة سبل معانٍ متشعبة ، فتقود قارئها إلى سبل تأويل متباينة ومتكاملة معاً وإلى استخلاص وحدات معنوية مختلفة).[٢]

كما أن القراءة هي تجربة ، والنص يؤثر في القارئ بطريقة أو بأخرى ، إذ إن بعض النصوص تعمل عملها في القارئ على نحو ملموس فتعزز من قناعاته الفكرية السابقة وما هو موجود في الواقع ، أو تعدل منها تعديلاً ملموساً ، وبعضها الآخر من النصوص الأدبية قد يكتفي بالترويج وادخال السرور إلى القلب ، وذلك يعني أن أي نص وأي مستوى يحمله النص يجب علينا أن لا نهمله ، بل يجب أن نحيط به ونكشف عن مراميه من أجل اتخاذ موقف فكري معين والوصول إلى وجهة نظر مقنعه ومقبولة.[٣]

ولابد من القول أن هناك العديد من المعاني التي يحملها النص ويمكن ايضاحها وهي :[٤]

- المعاني الحادثة / وهي المعاني الجديدة .
- المعاني الشعرية / وتقسم إلى قسمين : منها مايكون مقصوداً في نفسه وبحسب غرض الشعر ومتعمداً ايراده ، ومنها ما ليس متعمداً ايراده .
- المعاني الصناعية / وهي المعاني المتولدة من المعاني الأولى أو المعاني الجمهورية .
- المعاني العقم / هي المعاني النادرة ، وسميت كذلك لأنها لاتنتج ولاتلقح .
- المعاني المتقابلة / هي المعاني المتضادة مثل وضع المدح موضع الذم .
- المعاني الناشئة / هي المعاني المتولدة من المعاني الأصلية .
- المعاني البكر / وهي المعاني التي لم يسبق من قبل اظهارها بوصفها جديدة لم تكن مطروقة من قبل .

وجميع هذه المعاني كامنة في النص ، إذن النص يقوم كرابطة ثقافية ينبثق من كل النصوص ، ويتضمن ما لا يحصى من النصوص ، والعلاقة بينه وبين القارئ هي علاقة وجود ، لأن تفسير القارئ للنص هو ما يمنح النص خاصيته الفنية [٥].

وعلى هذا فان العمل الأدبي ليس نصاً فحسب ، ولا قارئاً فقط ، بل هو تركيب أو التحام بين الأثنين وهناك أبعاد حدّدها آيزر وهي :

١. بعدٌ يتضمن النص بوصفه هيكلاً لأوجه مخططة أو بناء ثابتاً يسمح للقارئ بالمشاركة في صنع المعنى .
٢. بعدٌ يستقصي إجراءات النص في القراءة ، وفيه يركز إيزر على الصورة الذهنية ، والتي تمثل الهدف الجمالي المتماسك.

وهذا يعني أن القارئ لايتعامل مع النص على أساس بنائه الشكلي ولا على أساس المضمون ، وانما على أساس إطار ما يسمى بالسياق العام.[٦]

وإن السياق العام هو سياق شامل يتضمن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والايديولوجي الذي يتخلله القارئ لمعرفة خلفية احداث النص الذي تموج فيه تلك الدلالات بطريقة أو طرق مختلفة تتشكل في صيغ قد تكون داخل تحت النمطية الايديولوجية كالقيم الثقافية والاخلاقية ، والتي تحدد الأفعال أو الاحكام بالمحيط والسببية الاجتماعية بمعنى آخر أنها تستثمر معطيات الواقع لتبرير وتعليل

الأحداث على وفق مقاييس الطبقة الاجتماعية [٧] ، وتلك المقاييس تحيل هي الأخرى الى تلك الترسبات الكامنة في النفس سواء أكانت واعية أو اللاواعية فأنها تحيل على مرجعية شديدة التعقيد ، فتفضي المعرفة فيها إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية ، ومن خلال هذا الاقبال على النص فانك تقوم بعملية (مقايسة) ، بمعنى أدق تقبل النص بما يوافق التصورات ، ورفض ما يخالفه ، وعلى هذا يكون الاستحسان والاستهجان هو أساس تلك العملية[٨] ، وعلى هذا الأساس لابد من أن تكون العملية شاملة وعامة ، لأن النسق القرائي (يعقد المسألة حينما يغدو التعامل مع النص من زاوية نظر القارئ فقط ، بمعنى أنه ينظر إليه بمنظاره الخاص ، فيضفي عليه من بنائه الفكري والايديولوجي صبغة ما ، ولذا يشدد جاك لينهارت على هذه النقطة بالذات قائلاً : إن القراء أنفسهم وبشكل ما يكتبون أو يعيدون كتابة الرواية المقروءة بحيث أن ما يسخلصونه من الرواية وما يفعلونه بها لايتوقف على نص الرواية بقدر ما يتوقف على بنياتهم النفسية والايديولوجية الخاصة)[٩] .

وهذا يدل على أن القراءة هي فعل ولكنه غير برئ لأنها امتزاج لمرجعيات مترسبة عدة في ذات النص ، من خلفيات فكرية أو ايديولوجية أو اقتصادية واجتماعية ، متصارعة في داخله إلى جانب الصراع مع انماط القراءة وانساقها المتداخله والتي تتماها مع بعضها البعض لتشكل كتلة من المتلابسات التي تضع النص صوب التأويل ، وجميعها منطلقة من ذلك الواقع الذي يحكم النص أولاً ثم المؤلف والقارئ على حدٍ سواء ، وما يعتريهما من أمور ايديولوجية ونفسية متجذرة في الوسط الاجتماعي ، ويذكر (غريماس) باعترافه على احتواء النص الأدبي (على جملة من الأزوطبيات داخل قراءة واحد ، فإنه يرفض تعددية القراءة ، بمعنى أن النص الواحد ينفتح على جملة من القراءات المتعددة (الجمعانية) بالافتراض الفج الذي يتسم بتعذر الإثبات). [١٠]

وعلى هذا يلحظُ أن استثمار النص في قراءة جادة للتلقي قد يكشف عن معطيات أخرى أكثر حداثة من الصخب المثار حول (اسطورة القارئ) والتفاتنا اليوم إلى القرب يسمنا بميسم التبعية العمياء ، مادامت هناك نصوص تضارع ماجادت به قرائح الآخر ، بل تتعداها في أحايين كثيرة. [١١]

٢. مستوى النص والفعل الاجرائي

لكل نص مستوى أدبي وفعل اجرائي ، كما هنالك حزم معقدة من علاقات القوة في كل محاولة يقوم بها المؤول لفهم نص ما ، وقد يسعى النص إلى إجبار قرائه على النظر والفعل على وفق طريقة بعينها ، فإما أن يدعوهم إلى التوافق مع الوضع القائم أو يحرفهم على الاحتجاج والمقاومة ، ولذا أن القوة الممكنة التي يمارسها النص على قرائه هي ما يجعله ذا فاعلية وقوة اجرائية في نقد الايديولوجيات النصية ، ومن جهة أخرى تمارس قناعات المؤولين قوة على النص ،[١٢]بمعنى آخر أننا نكون أمام قوة نص ، وقوة مؤول ، ذلك لان علاقة المؤول بالنص علاقة قوة يمكن تكوينها بطرقٍ مختلفة ولغايات متنوعة ، ولاسيما أن النص ليس من مصلحته أن تكون له قوة أو سلطة مطلقة ، وذلك لأن العملية تترتب على أساس الفهم ، من أجل ملئ وسد الفراغات ، وبناء نماذج الاتساق ، وفي الاتجاه المعاكس أيضاً ليس من

مصلحة المؤول أن تكون له سلطة كاملة لا تقبل التحدي على عملٍ ما ، لأن القوة بدون منافس يمكن أن تكون سبباً لفقدان البصيرة ، ولاسيما إذا كانت القراءة دائرية بمعنى أن معنى أي جزء من عملٍ ما يعتمد على فرضيات المرء يحدد علاقة ذلك الجزء ببقية الاجزاء[١٣] ، كما أن القوة هي قوة ممارسة تدرك بالقوة التأويلية ، وتلك القوة لا تدخل بين المؤول والنص فقط ، ولكنها تدخل أيضاً علاقة أخرى وهي علاقة ثلاثية بين المؤول والقواعد والافتراضيات والممارسات [١٤] ، ولابد من الاشارة إلى أن علامات القوة التأويلية هي قدرتها على تغيير المعتقدات والتقنيات التي منحت المرء سلطته لتحدي فعل القراءة وقوة النص وقوة المؤول.

إن الصراع التأويلي هو صراع (الحوار) بين أطراف متنوعة لاستكمال العملية ، عملية القراءة واستنتاج النص وطرح المعنى ، إذ إن طرح المعنى ينتج من خلال صراع ذلك المنتج مع القارئ الداخلي الذي يظهر من خلال :

١. ظهور القارئ الداخلي عبر ضمائر الخطاب .
٢. وجوده بشكل مخفي أو متخيل أو مفترض داخل النص ، ويوحي به السياق.
٣. ظهوره باشكال مختلفة ، وقد يتجسد في شخصية ما .
٤. وللقارئ الداخلي أهمية في عملية التوصيل ، بمعنى آخر توصيل العمل الأدبي للقارئ الخارجي ، إذ إن وجود القارئ الداخلي في أي عمل ابداعي يسهل عملية التلقي للعمل الأدبي المنتج .[١٥]

وذلك لأن هناك العديد من الانتاجات الأدبية التي تحتاج إلى بسط دلالاتها ، ولاسيما تلك التي تنطوي في اعماقها على خطاب مركب ومعقد ، لايمكن أن يصل إلا إلى قارئ على درجة عالية من الثقافة تمكنه من معرفة النص ومستوياته الابداعية التي تجعل المقابل والقارئ له يحلق في عوالمه لاستكشاف الدلالة ومعرفة مايرمي إليه النص ولاسيما أن كان النص ذا مصادر متنوعة متكأة على الموروث الثقافي والديني والتراثي وما يحيل كل منهما على أمور ومرامي قد تستعصي على القارئ المتلقي ، لذا لابد أن يمتلك ثقافة لاستكشاف النص ومستوياته وفعله الاجرائي الذي يمثل هو الاخر عملية البحث والتنقيب في مناجم النص وما يحمله من كنوز المعرفة .

المبحث الثاني : إشكالية التلقي وإنقطاع الحوار (النص والقارئ)

يشكل النص الأدبي المنتج مجموعة من الدوال التي ينبغي تأويلها ، إذ لا وجود له إلا بوجود القراءة ، وذلك أمر يبين عن ثنائية ترابطيه بين النص ، وفاعلية القارئ الذي يكشف عن ذلك النص ويقوم بسبر اغواره ، ولذا يرى ميشيل اوتان في مقالة (سيميائية القراءة) أن ما يحسن تحديده في النص يتمحور حول قطبين هما :

أ. مواضع اليقين .
ب. مواضع الشك.[١٦]

ويلحظ أن القارئ ينطلق من مواضع اليقين لبناء التأويل وهنا تختلف السياقات أيضا بحسب اختلاف البنية والعصر، أما مواضع الشك فهي ما تمثل بؤرة النص التي تحتاج إلى استكشاف لأن

الغموض والايهام يتمحور في النص ، وهذا الموقف يضع القارئ في موقف محرج يدفعه إلى التداخل واقتراح التأويلات والتفسيرات ، ولاسيما أن نقطة الارتكاز تدور حول كل ما هو غامض لايكشف عنه النص بسهولة ، إلى جانب الحاجة الدائمة إلى وعي الفكر.

١. الإشكالية والنص (اللغة)

إن الإشكالية هي مصطلح يُحيل إلى اشكاليات عدة أو مجموعة مشاكل داخل النص كأن تكون :

١. فجوة .
٢. انقطاع الحوار (والسلسلة الفكرية) .
٣. اغراق النص بالرمزيات .
٤. استعمال الاساليب الصعبة (الأقرب إلى الفلسفة) .

وهذه أمور تسبب إشكالية للقارئ (القارئ غير المتمرس) ، أو صاحب المعرفة السطحية ، وخاصة أن المبدع يلجأ إلى أساليب وسياقات تخالف (اللغة ، التي يحكمها نظام مثل تقديم الفعل على الفاعل أو مجاورة الخبر للمبتدأ ، فأن المبدع قد يخرق هذا النظام المطرد، ولاسيما أن سياق الكلام الأدبي قد يدفعه إلى انتهاك هذا النظام ، ولهذا قالوا : لكل مقام مقال ... منطلقين من فكرة السياق أو مقتضى الحال ، وهي فكرة تسبب سياقات كالحذف والذكر والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير[١٧] ، وما إلى ذلك من اساليب قد يلجأ إليها منتج النص ، إلا ان الا شكالية تواجه القارئ ، وفي الأخص (فهم القارئ) للنص ومدى قابلية القارئ على فك شفرات النص وما فيه من إبهام .

ولاسيما أن للنص لغة وهذه اللغة تعتمد على وظائف منها :

اولاً: الوظيفة الفكرية : وهذه الوظيفة هي الأساس وتقوم على أساس التعبير عن المحتوى أو الفكرة أو المضمون ، ولذا يقول هاليدي : (انها تقوم بالتعبير عن محتوى تجربة المتكلم أزاء العالم الخارجي، بل ما تتضمن كذلك العالم الداخلي لوعيه)[١٨] ، لأن نص البنية تسيغ البنية على التجربة .

ثانياً: الوظيفة الشخصية : وتسمى أيضاً الوظيفة التواصلية ، وتعنى بوظيفة الكلام وبنية التبادل ، وكل العناصر التفاعلية التي تبين وضع المتكلم وعلامات الخطاب.

ثالثاً: الوظيفة النصية : وهي التي تمكن المتكلم أو الكاتب من خلق النص ، وكما تمكن المتلقي أو القارئ من إدراك ذلك النص.[١٩]

فإذا انقطعت أي وظيفة من هذه الوظائف عند المتلقي فان الصعوبة تعم ، لأن اللغة هي مفتاح النص وما يحويه فاذا كانت اللغة هي العائق بين النص والمتلقي ، فذلك سيؤدي إلى انقطاع عملية التوصيل الدلالي وفهم مكنونات النص ، لأن أهم عملية ، هي ما كانت مترابطة بين (النص – المتلقي – تأويل الدلالة).

وتأويل الدلالة ، هي ركن أخير ، لكنها تحتاج إلى وعي وقراءة ، وأن القراءة هي : (نشاط معقد ومتعدد يتطور باتجاهات عدة)[٢٠] ، وبما أن النص هو فكر وانفعال ورمزية ، فلا بد من قراءة وتأويل لكشف مكامنه ، ولذا يواجه المتلقي صعوبة في بعض الاحيان ، ولاسيما في سياقه الثقافي وما يرمي إليه من مقصدية ، لأن كل قراءة ما

هي إلا تفاعل مع الثقافة والترسيمات المهيمنة في بيئة وعصر ما ، فكما تؤكد القراءة على بعدها الرمزي مع العلاقة مع الاشياء الأخرى التي يقيم القارئ صلات معها ، ويثبت المعنى على مستوى خيال كل قارئ ، فهكذرا تتأكد القراءة كجزء مستمد من ثقافة ما [٢١]، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن القراءة أو نظرية التلقي لها مرتكزات أساسية تبنى عليها ، وهذه المرتكزات هي :

١. القارئ
٢. بناء المعنى
٣. أفق الانتظار

فالقارئ هو المحور الأساس الذي تدور حوله العملية الأدبية في تلقي النصوص أولاً، ثم انتاج المعنى ، وفي بناء المعنى هناك مايعرف بالفجوات التي توجد داخل النص ، وهنا يأتي دور القارئ في ملئها وبناء المعنى ، وذلك الأمر راجع إلى ثقافة القارئ ومدى وعيه بالنص ، لأن المتلقي لابد من عوامل يمتلكها لتساعده في تقويم معنى النص وهي:

أ. الخبرة السابقة التي يمتلكها القارئ لتمكنه من تأويل دلالة النص .

ب. مدى المعرفة أو التميز التي تكمن في فهم اللغة عن اللغة الشعرية أو اللغة الجمالية أو حتى اللغة العملية الاعتيادية ، لأن النص ماهو إلا انتاج جاهز ونهائي يتطلب فعل القراءة ، وفعل القراءة هذا سيولد من النص نص آخر مرتقب ، ولكنه صادر من النص الأول الجاهز ، لذا امست (مهمة التأويل تقوم على الأقتراب من الهوية الدلالية المفترضة).[٢٢]

لابراز حقيقة النص الأدبي ، وبما ان النص متعدد القراءات تبرز اشكالية أمام المتلقي لمعرفة حقيقة النص ، ولابد من وجود علاقة متبادلة بين النص وما يحويه من وضوح المعنى وغموضه وبين القارئ المتلقي له ، وتلك العلاقة أيضا لابد أن تتضمنها نباهة القارئ ، لأن الفراغات تعمل كمحور تدور حوله تفاعلات القارئ والنص ، ويردفها تخيل القارئ بناء على شروط يضعها النص ذاته ، إلا أن جمالية التلقي قد اعتبرت تقنية الفراغات بنية ديناميكية في النص ، لأنها المجال الخصب الذي تتولى القراءة إثراءه في ضوء لعبة الضياء والظلام التي يثيرها النص في ثنائية الكشف والخفاء ، التصريح والسكوت ، الاشارة والإهمال ، لأن الشي المفقود ، أو الثغرات تبرز من الحوارات ، وذلك ما يدفع المتلقي إلى عملية ردم تلك الثغرات وسد إشكالية النص وعلى الفضاءات بالانعكاسات ، وقد يلجأ إلى إضافة ما يفهم مما لم يذكر ، وما يذكر قد يكون لا معنى له ، إلا كمرجع لما لم يذكر ، وذلك ما يعبر عنه بوضوح المعاني الضمنية التي تعطي شكلاً ووزناً للمعنى .[٢٣]

٢. التأويل والمؤول والمعنى

بما أن التأويل هو عملية إبداعية للنص وبطرق مختلفة ومتنوعة للبحث عن معانٍ للنص الانتاجي الإبداعي ، إذن لابد من وجود طرف آخر وهو (المؤول) الذي يبحث عن ذلك المعنى ويكشف عنه ، ويقدمه للقارئ ليصبح النص أو الشيء المنتج مفهوماً لديه ، وذلك أمر يجعلنا ندخل في إطار ثالث ، لأن القارئ الناقد يجعل من نفسه وسيطاً بين النص والقارئ العادي ، تبعاً لامتلاكه وحدة الحقيقة التي تستر

عليها مبدع النص ، ومما لاشك فيه أن اهتمام المؤول بالمعنى يعني أن النص يضم معنى يمكن استخراجه ، وإذا تم استخراجه من قبل القارئ الناقد ومن خلال ممارسته لفعل النقد ، فإن ذلك سيرسخ لدى المتلقين اعتقاداً منهم بان هذا المعنى هو جوهر العمل الأدبي ، وفي الوقت ذاته يفقد النص قيمته لايحاء المتلقين بأن هذا النص فقد قيمته ، لأنه تم استخراج جميع معانيه ولا حاجة إلى قراءته مرة أخرى ، وذلك ما يجعل الأمر في حالة الضلال الذي يكسر من قيمة النص .[٢٤]

كما أن السياق التأريخي العام كان له سبباً في بروز الظاهرة التأويلية ، لأنه استدعى مزاحمة الفعل للنقل ، وغدت من خلال ذلك خطاباً تتمظهر فيه أصول المعرفة الخاصة بذلك الزمن [٢٥]، فمثلما هناك كلمات مثل الفاعل والمفعول ، المبتدأ والخبر ، الضمة والفتحة والكسرة ، وما إلى ذلك فانها كلها ماهي إلا علامات دالة على معانٍ ، ولكنها تتحول في البحث اللغوي إلى مفاهيم تحليلية ، بحاجة إلى عملية إعادة تفسير ، أو تأويل ونقلها من مجال الكلام إلى مجال اللغة ، وهو ما يطلق عليه القدماء أسم النقل الاصطلاحي ، أو النقل العرفي [٢٦] ، الذي نريد أن نقوله من هذا أن التأويل للنص هو أدادة أساسية لبناء العلم ذاته ، كما أن النص أيضاً هو النظام اللغوي الذي يتم تحليله من خلال عملية التأويل التي تكشف عن رموز النص وانساقه وابعاده اللغوية والكلاسيكية ، إلى جانب الكشف عن الدلالات وعلاماتها على وفق معادلة طرفيها (الدال ، والمدلول) وما ينضوي تحت كل منهما ، ونظراً لأهمية صلة المعنى بالمتلقي ، فقد اخذت التأويلية تتحول من دراسة معنى النص بتركيباته اللفظية والتعبيرية بشكل عام ، إلى دراسة المعنى المتولد عن فهم المتلقي لذلك النص ، وذلك على طريقة المعنى الذي أسسه (غادامير) الالماني ، كما ان توليد المعنى يأتي من خلال توافر ثلاثة عناصر هي :

١. **المعنى الدقيق .**
٢. **التأويل اللطيف .**
٣. **التطبيق البارع .**

وذلك أمر يكشف عن مستويات القراءة ومستوى القراء [٢٧] ، وعلى الرغم من ذلك ، إلا ان القراءة من منظور الأثر تحولاً من واقع اعتيادي إلى واقع فني عبر تنقلات متوالية تعبر من خلالها واقع الحياة ، وواقع النص ، وواقع القارئ إلى واقع جديد ، ويشهد ذلك الواقع مستوى لقاء النص بالقارئ والذي نعتته جمالية القراءة بالموقع الافتراضي بمعنى آخر أنه مهما استكشف القارئ من أبعاد النص وعناصره ومكامنه ومجاهله ، فإن ما يستكشف يظل في رأينا مجرد صورة واحدة من صور القراءة ، ولا يجوز له أن يتخذ صفة الحقيقة النقدية التي من العسير علينا التسليم بها ، ذلك بأن مجرد ذكر الحقيقة يتبادر إلى الذهن الذكر المزيف .[٢٨]

ولذا فان العلاقة بين المعنى والمؤول يجب ان تكون على وفق العديد من الاعتبارات منها :

١. اعتبارات اجتماعية لاتخرج عن الحد المعقول والمقبول في الكينونة المجتمعية .
٢. اعتبارات عقلية يكون فيها التأويل للنص والظاهرة على وفق تحليلات مقبولة أولاً ومعقولة ثانياً .

٣. اعتبارات نفسية بحيث يكون المؤول غير منجرف وراء ما ينبغي قوله هو لا النص أو أن يقول ويحمل النص من التأويل ما لا يحتمل أو لايطاق .

لأن التلقي الأدبي مغاير هو الآخر للتلقي العلمي ، والتأريخي والجغرافي ، وذلك يعود لسبب كأن قارئ النص الأدبي يواجه لغة ترميزية وبناء تخييلياً لا يعرفهما النص العلمي وغيره ، إلى جانب ذلك كله أن القارئ أيضاً مختلف ، إذ ان هناك تحديد للقارئ الضمني الماثل داخل النص ، وذلك يمثل هو الآخر جزء من بناء النص ، لأن خطاب النص موجه إليه ويعترف به ويتوق إلى التأثير فيه .[٢٩]

إذن على الرغم من رمزية وتخيلية النص الأدبي ، لا يجوز للمؤول أن يؤول النص بطريقة غير معقولة أو ان يضفي معاني خارجة عن حقيقة النص ومستوى التأويل ، حتى وأن كان النص مفتوح ، بمعنى آخر أن المؤول يجب عليه أن يؤول النص على وفق ما يحمله النص وما يضمر من مكنونات لتكون رؤيته التأويلية ذات معنى وفائدة عائدة إلى النص أولاً ، والمتلقي ثانياً ، وليكون لدنيا نحن نص مفتوح يتقبل من المستويات والمعاني ، ولكن بشرط المعقول ، ويشير بارت إلى أن (كل نص ينطوي على اختلاف ، وهذا الاختلاف ليس من قبيل التفرد ، وإنما نتيجة الخاصية النصية نفسها ، فكل نص يرجعنا بطريقة مختلفة إلى بحر لانهائي هو المكتوب من قبل ، صحيح أن بعض أنواع الكتابة تحاول أن تثني القارئ عن إعادة وصل النص ، وليس مثلما تفعل الرواية الواقعية التي تقدم نصاً منغلقاً على معنى محدد).[٣٠]

وهذا يعني أن النص هو الكينونة والبؤرة والمركز والنظام الذي ينطلق منه المؤول والتأويل والمعنى ، وهذا ما يمنح النص شرعية كونه دالاً مفتوحاً الدلالة ومهيأ (لاستقبال الارسال) [٣١] ، وهذا يعني أن انفتاح النص يشير إلى لا وجود لنهاية محكمة وانما يظل النص كالبحر مفتوحاً لاستقبال النهاية التي يقترحها أو لم يقترحها المؤلف أو المبدع لنصوصه.

مما تقدم نلمس روح لذة القراءة والاشكالية التي يواجهها المتلقي، ويمكننا اجمالها بـ :

- النص هو الفعل الاجرائي الذي ينطلق منه القارئ والناقد والمؤول على حدٍ سواء .
- لكل نص مستويات وفي الوقت نفسه القارئ على مستويات بحسب الثقافة والبيئة وعملية التأويل .
- هناك لذة للقراءة ولكن تقابلها اشكالية في التلقي ، ولاسيما أن كان النص أعلى من مستوى التلقي فهنا ستكون مشكلة في الفعل الاجرائي للقراءة لسبب يعود إلى انقطاع الصلة بين النص والمتلقي مما يؤدي إلى امرين :
  - الأول: ترك النص .
  - الثاني : احباط المتلقي .

وذلك أكثر ما يواجه القارئ العادي الذي لايمتلك خبرة عالية أو ممارسة طويلة في فعل القراءة أو التأويل وعملية نقد النصوص واستخراج كوامن ما فيها من دلالات تحيل إلى عمق مستوى ذلك النص ونضوجه .

الهوامش

(١) ينظر : نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضايا : ٥٧.

(٢) المصدر نفسه : ٨٥-٨٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ١١٣.

(٤) ينظر: استرداد المعنى ، دراسة في أدب الحداثة : ٢٥-٢٧.

(٥) ينظر: ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : ١٦٩-١٧٠.

(٦) ينظر : قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة: ٣٥.

(٧) ينظر : القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية : ٢١٢.

(٨) ينظر : المصدر نفسه والصفحة.

(٩) المصدر نفسه : ٢١٣.

(١٠) النص الأدبي من اين وإلى اين : ٥٦.

(١١) ينظر : القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية: ٢٥٧.

(١٢) ينظر: القراءات المتصارعة التنوع والمصداقية في التأويل: ١٩٣.

(١٣) ينظر : المصدر نفسه: ١٩٤.

(١٤) ينظر : المصدر نفسه: ١٩٨.

(١٥) ينظر : نظرية التوصيل في الخطاب الروائي العربي المعاصر : ٢٨٩-٢٩٠.

(١٦) ينظر : التلقي والتأويل بين سلطة القارئ في الأدب : ٥٤.

(١٧) ينظر : المصدر نفسه: ١٧١.

(١٨) ينظر : الغاب دراسة اسلوبية في الشعر العربي الحديث : ٨-٩.

(١٩) ينظر : المصدر نفسه: ٩.

(٢٠) ما القراءة : ٢٣٨.

(٢١) ينظر : المصدر نفسه: ٢٤٢.

(٢٢) اشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر : ١٢.

(٢٣) ينظر : التفاعل بين النص والقارئ: ١٠.

(٢٤) ينظر : النص وقضايا التلقي : ٦٩.

(٢٥) ينظر : الدلالة بين المقصدية والتأويل قراءة في تأويل النص الديني : ٧٣.

(٢٦) ينظر : اشكالية القراءة واليات التأويل : ١٩٠.

(٢٧) ينظر : جماليات التلقي : ٦٩.

(٢٨) ينظر : درساة سيميائية تفكيكية لقصيدة اين ليلاي لمحمد العيد: ١٤.

(٢٩) ينظر : التلقي الأدبي : ١٠.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

(٣٠) نظرية التوصيل في الخطاب الروائي العربي المعاصر : ٣٢٤.

(٣١) ينظر : المصدر نفسه: ٣٢٥.

المصادر والمراجع

- استرداد المعنى دراسة في أدب الحداثة : عبد العزيز ابراهيم ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، ، بغداد ، ٢٠٠٦ م .
- إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر : د. حفناوي بعلي ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٤٤٠ ، كانون الأول، ٢٠٠٧ م.
- إشكالية القراءة وآليات التأويل : نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط٨ ، الدار البيضاء المغرب ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م.
- التفاعل بين النص والقارئ : فولفانغ ايزر ، مجلة دراسات سيميائية أدبية ، ع٦/٧ ، الدرا البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٢ م.
- التلقي الأدبي : إلرود إبش ، ترجمة ، د. محمد برادة ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، المغرب ، ع ٦، خريف شتاء ، ١٩٩٢م .
- التلقي والتأويل بين سلطة القارئ في الأدب : محمد عزام ،ط١، دار الينابيع ، دمشق ، ٢٠٠٧ م .
- جماليات التلقي دراسة في مرتكزات النظرية ومرجعيتها ، د. محمد حرير ، مجلة الاداب العالمية ، العدد ١٤٣، صيف ٢٠١٠ ، السنة الخامسة والثلاثون.
- دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد، د. عبد الملك مرتاض ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د. ط.ت)
- الدلالة بين المقصدية والتأويل قراءة في تأويل النص الديني ، د. منقور عبد الجليل ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٤٤٠ ، كانون الأول ، ٢٠٠٧ م.
- ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : عصام شرتح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٥ م.
- الغاب دراسة اسلوبية في الشعر العربي الحديث : سمير الشيخ ، ط١، سلسلة دراسات ، العراق ، ٢٠١٤ م.
- القراءات المتصارعة التنوع والمصداقية في التأويل ، بول ب — آرمتسرونغ، ترجمة وتقديم ، فلاح رحيم ، ط١ ،الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م.
- قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة ، د. محمود عباس عبد الواحد ، ط١ ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م.
- ما القراءة : تأليف فانساجوف، ترجمة اسماعيل ، مجلة المعرفة ، العدد ٤٧٨، السنة ٤٢، تموز يوليو ، ٢٠٠٣م.
- النص الأدبي من أين وإلى أين : عبد الملك مرتاض ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د.ط) ، ١٩٨٣م.
- النص وقضايا التلقي : د. سمير روحي الفيصل ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٤٤٠، كانون الأول ، ٢٠٠٧م.

- نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها : د. حسين مصطفى سحلول ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م.
- نظرية التوصيل في الخطاب الروائي العربي المعاصر : د. أسماء معيكل ، ط١، دار الحوار ، سوريا ، ٢٠١٠م .